

تفسير أبي السعود

يوسف 38 من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها إلى قبول الحق فأراد أن يخرج أثر ذي أثر عما في عهده من دعوة الخلق إلى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شأنه وثقة بأمره ووقوفا على علو طبقتيه في بدائع العلوم توسلا بذلك إلى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص إليها من كلامهما فكأنه قال تأويل ما قصصناه علي في طرف التمام حيث رأيتما مثاله في المنام وإني أبين لكما كل جليل ودقيق من الأمور المستقبلية وإن لم يكن هناك مقدمة المنام حتى إن الطعام الموظف الذي يأتيكما كل يوم أبينه لكما قبل إتيانه ثم أخبرهما بأن علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو أفضل إلهي يؤتاه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال .

ذلكم أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للإشارة إلى علو درجته وبعد منزلته .

مما علمني ربي بالوحي والإلهام أي بعض منه أو من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول إدراكه العقول ولقد دلها بذلك على أن له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين أن نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آباءه الأنبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال .

إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكم مما علمني ربي وتعليل له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته إلى معنى أنه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخيرية لأن ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه أو لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فليل لأنني تركت ملة الكفرة أي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابتها وإنما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في إقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الإيمان به للتنصيص على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليست بإيمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى إنه عمل غير صالح .

وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء .

هم كفرون على الخصوص دون غيرهم لإفراطهم في الكفر .

واتبعت ملة آباءى إبراهيم وإسحق ويعقوب يعنى أنه إنما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك

الكرامات بسبب أنه اتبع ملة آباءه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وإنما قاله عليه السلام ترغيباً لصاحبيه في الإيمان والتوحيد وتنفيراً لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آباءه لأن التولية متقدمة على التحلية .

ما كان أي ما صح وما استقام فضلاً عن الوقوع .

لنا معاشر الأنبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا .

أن نشرك باء من شيء أي شيء كان من ملك أو جنى أو إنسى فضلاً عن الجماد البحث .

ذلك أي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا أن نشرك باء من شيء .

من فضل اء علينا أي ناشء من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه إيانا لقيادة الأمة